في ختام المؤتمر الخليجي للبحوث المسحية بجامعة قطر

دراسة قطرية حول أزمة الهوية لدى المراهقين

❑ الجلسة الختامية للمؤتمر

❑ المشاركون فى المؤتمر

أيمن صقر

اختتمت امس فعاليات مؤتمر البحوث المسحية فى منطقة الخليج: قضايا وسياسات الذى نظمه معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية بجامعة قطر بالتعاون مع جامعة ميتشجن.

وخلال الجلسة الاخيرة تم عرض ورقة عمل قطرية بعنوان أزمة الهوية عبر مرحلة المراهقة "دراسة مستعرضة ومقارنة لدى المراهقين بدولة قطر" لكل من د. مايسة النيال عميد كلية الآداب جامعة بيروت العربية ود. أسماء العطية، أستاذ مشارك قسم العلوم النفسية كلية التربية جامعة قطر.

وقالت د. اسماء العطية خلال الجلسة ان من بين القضايا التي مازالت تشغل أذهان الباحثين أزمة الهوية لدى المراهق وهي تلك الأزمة – التي نتصور أن للثقافة الاجتماعية التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض دورا لا يستهان به في ظهورها – حيث تعد أزمة الهوية المشكلة الحرجة في المراهقة وهي أزمة يمر بها اغلب المراهقين في وقت ما ويعانون فيها من عدم معرفتهم لذواتهم بوضوح في الوقت الحالي أو مستقبلاً وهذا يجعلهم يشعرون بالجهل بما يجب أن يفعلوه، فيدفعهم هذا إلى الإحساس بالهوية والى مزيد من تشتت الهوية وتميع الهوية.

وقد أشارت نتائج كثير من الدراسات والبحوث الى أن نسبة كبير من المراهقين يعانون من أزمة في تحديد هويتهم، حيث يترتب على مواجهة المراهقين لأزمة الهوية الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية.حيث ان البحث عن مصادر للمعنى وتكوين فلسفة للحياة من أهم مطالب نمو المراهق والتي يكون لها علاقة وثيقة بإحساسه بأزمة الهوية فالمراهقة تعد مرحلة اتخاذ قرارات تتعلق بأسلوب الحياة وتحديد الأهداف والتوجه إلى تحقيقها والبحث عن مصادر جديدة للمعنى والانجاز والقيمة والبحث عن فلسفة للحياة.

وأضافت ان الكفاح من أجل الإحساس بالمعنى يبدو جليا في المراهقة أكثر من أي مرحلة أخرى، وذلك من خلال ثورة أسئلة وجودية ينشغل بها المراهق، وتؤثر في حياته. لذا يمكن القول ان للهوية بعدا وجودياً تتضمن طريقة للوجود في العالم، وأن هذا العالم أكثر من مجرد البيئة الاجتماعية، إذ يتضمن سياقاً شاملاً لطرح أسئلة أساسية مثل ما هو معنى الحياة. وبالتالي فان الدوافع لتحقيق الهوية تشمل ليس فقط حاجات التكيف الاجتماعي البيولوجي لكن أيضاً الحاجة لعالم ذي معزى مما يؤكد العلاقة التفاعلية بين أزمة الهوية ومعنى الحياة حيث يؤثر كل منها في الآخر وهذا يعني أن خواء المعنى يؤدي إلى إحساس المراهق بأزمة الهوية التي قد تنشأ من عدم قدرة المراهق على فهم معنى لحياته.

مما لا شك فيه أن البعد الثقافي يلعب دورا في مراحل وعمليات تكوين الهوية لأنها – كما أسلفنا – عملية نفسية اجتماعية ثقافية. فيشير علماء الاجتماع إلى أن أزمة الهوية تختلف في شكلها ومضمون وحدتها من مجتمع لآخر ومن حضارة إلى حضارة، وأن المراهق يعكس في أزمته ظروفاً اجتماعية وحضارية معينة "فالأزمة لا تكون استجابة لتغيرات داخل الفرد نفسه، وإنما تكون نتيجة لاستجابة البيئة التي يعيش فيها للتغيرات التي تطرأ عليه، ففي تفسير الأزمة يجب أن نبحث عنه في الظروف الاجتماعية التي تحيط بالمراهق يعرف "اريكسون" الهوية بأنها المجموع الكلي لخبرات الفرد، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما إلى كل من هوية الأنا وهوية الذات، وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم أو هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية. إن انهيار إحساس الثقة بالنفس والآخر، داخل أنظمة القيم الثقافية، وداخل الأنشطة الاجتماعية، من شأنه أن يعزز مواقف اللا مسؤولية وأن يؤدي إلى نمو النزعة السلبية والاتجاهات الفردية. ويترتب على ضياع الإحساس بالهوية ضياع الشعور بالوحدة والتماسك والاستقلال والتمايز والقيمة والثقة بالنفس والإحساس بها. ولاشك أن التناقض الذي يتعرض له المراهق نتيجة لاطمئنانه لإمكانياته المعرفية والشخصية ومهاراته الاجتماعية وبين الواقع المحيط ومتطلباته التي لا تتسم في أحيان كثيرة بالعدالة، من العوامل الرئيسة في نشأة أزمة الهوية لدى المراهق بل وشعوره بالاغتراب.

د. أسماء العطية: البعد الثقافي يلعب دورا في مراحل وعمليات تكوين الهوية

◄ أزمة الهوية

وقالت ان الدراسة هدفت إلى التعرف على مدى تأثير عاملي النوع (الذكور/ الإناث)، والمرحلة العمرية (مرحلتي المراهقة الوسطي والمتأخرة) على أزمة الهوية في شكلين رئيسيين هما أزمة الهوية الايديولوجية وأزمة هوية العلاقات المتبادلة أو العلاقات الاجتماعية، وبمعنى هل توجد فروق ترجع إلى عامل النوع في أزمتي الهوية الايديولوجية أم العلاقات المتبادلة؟ وأي مرحلة عمرية (المراهقة الوسطي أم المراهقة المتأخرة) أكثر معاناة من أزمتي الهوية الايديولوجية وهوية العلاقات المتبادلة؟

وأضافت ان الدراسة تستمد أهميتها من تناولها لقضية أزمة الهوية في عصر العولمة التي تمثل أهمية كبيرة في مجال سيكيولوجية العولمة، حيث أصبح تكوين الهوية من اخطر التحديات التي يواجهها العالم العربي في مسايرة مجتمع المعلومات العالمي. وخصوصية العينة التي تتناولها وهي عينة من الشباب المراهقين الذين هم أكثر عرضة من أي وقت مضى لمشاعر الصراع النفسي والاضطرابات النفسية كالشعور باليأس والقلق والاكتئاب والاغتراب والوحدة النفسية والجناح وتزداد حدة هذه الصراعات والاضطرابات ويتضاعف أثرها لما شهدته المجتمعات في الآونة الأخيرة من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية متلاحقة أدت إلى غلبة قيم معينة قد يعجز المراهق عن التكيف معها بشكل قد يؤدي إلى تعرضه لضغوط مختلفة. خاصة أن الشباب المراهقين لهم طبيعة خاصة فهم يمرون بمرحلة مهمة من البحث المهني والانجاز والقيمة، والبحث عن فلسفة الحياة والاستقلال والتفرد، واتخاذ القرارات التي تتعلق بأسلوب حياتهم الاجتماعية والمهنية فيجدون أنفسهم أمام متغيرات جديدة عالمية ضاغطة قد تجعلهم يعيشون حالة من الارتباك بين ما يسعى إليه وما يواجهه من تحديات.

◄ عينة البحث

وتتكون عينة البحث من مجموعتين تمثل مرحلة المراهقة الوسطى، ومرحلة المراهقة المتأخرة وأسفرت نتائج الدراسة عن أن المراهق في مرحلة المراهقة الوسطى أكثر عرضة لأزمة الهوية الايديولوجية، بينما نجد أن المراهق في مرحلة المراهقة المتأخرة أكثر عرضة لأزمة هوية العلاقات المتبادلة.